

ماذا بعد عودة المفاوضات اليمنية؟

■ **حميدي العبدالله**

استؤنفت من جديد المفاوضات اليمنية – اليمنية بإشراف ممثل الأمين العام للأمم المتحدة وبرعاية ودعم من الكويت، ومعروف أنّ الوفد التابع للرئيس الملغوع عبد ربه منصور هادي، كان قرّر الانسحاب من الحوار ما لم تكن هناك التزامات من قبل وفد صنعاء بمجموعة من الشروط التي وضعها الوفد اليمني الآتي من الرياض. وقال الوفد اليمني التابع للرئيس عبد ربه منصور هادي الذي تتعرض حركة أنصار الله على آتي دور له في الحل، أنه عاد إلى المفاوضات بعد الحصول على التزامات من وفد صنعاء بالاستجابة للشروط التي يطرحها للحل، ولكن حركة أنصار الله فقدت ذلك.

السؤال هل تقود الجولة الجديدة من المفاوضات إلى التوصل إلى تسوية تنتهي الحرب اليمنية؟

من الواضح من خلال استقراء تصريحات المسؤولينفاوضين في كلا الطرفين اليمنيين، أنّ المواقف لا تزال متباعدة، ولم يحصل أي اختراق على أي مستوى، سواء المستوى العسكري أو المستوى السياسي في الجولات السابقة، ولا تزال المفاوضات والحوارات تراوح في مكانها. أيضاً التطورات الميدانية تشير إلى أنّ الطرفين غير قادرين على تغيير الوضع الميداني بشكل جذري لمصلحتهما. في ضوء كل ذلك، أيّ في ضوء تباعد المواقف من الحل بين الطرفين، وفي ضوء استقرار الوضع الميداني، فإنّ إمكانية حدوث خرق في حوار الكويت هي إمكانية معدومة للغاية، وقد تستمرّ جولات التفاوض والحوار أشهراً طويلة وربما سنوات، ولا ولا خشية المملكة العربية السعودية وحلفائها الغربيين من احتمال استمرار حرب الاستنزاف الاقتصادية والبشرية فترة طويلة، واللقق من احتمال أن يستغل داعش والقاعدة الفوضى القائمة لترسيخ وجودهما في اليمن، ولولا معاناة اليمنيين من الحصار ومن الضربات الجوية واستمرار الحرب التي تضغط أيضا على فريق صنعاء، لولا كل ذلك لكان يمكن الاستنتاج بأن المفاوضات سوف تستمرّ سنوات طويلة من دون الوصول إلى أي نتيجة في ضوء مستوى التصادم في مصالح الطرفين اليمنيين وتحالفاتها الإقليمية وارتباطاتها الدولية.

لكن على الرغم من كلّ هذه العوامل من الصعب توقع حدوث اختراق كبير في الجولة الجديدة من الحوار؛ لأنّ لا الوضع الميداني قد طرأ عليه تغيير يدفع باتجاه تسريع الحل، ولا العلاقات الإقليمية والدولية شهدت تحوّلًا يساعده أحد الطرفين لتغيير موقفه، ولا تزال حالة الاستعصاء قائمة.

ما أوجنا إليك اليوم

يا عيد النصر...

■ **عبدالله خالد**

في 23 تموز 1952 قامت ثورة الضباط الإحرار في مصر منيئة عهد الملكية ومبشرة بعهد جديد منبثق من الإرادة الشعبية الراجعة في التحرر من الاحتلال البريطاني والتخلص من الاحتلال الصهيوني في فلسطين وتحقيق العدالة والمساواة والحياء الكريمة للشعب المصري. وسرعان ما ظهر أن جمال عبد الناصر هو القائد الحقيقي لهذه الثورة المباركة وليس محمد نجيب.

شرح عبد الناصر في كتابه «فلسفة الثورة» برنامج الثورة ببنوده الستة وحركها السياسي بحلقاته الثلاث، وهذا ما جعل تلك البنود والحلقات دليل العمل لحركات التحرر في الوطن العربي وأفريقيا وأميركا اللاتينية بعد أن أصبحت القاهرة مقرّ تلك الحركات التي تتلقى كل أنواع المساعدة من مصر عبد الناصر. وجاء جلاء القوات البريطانية وتأميم قناة السويس ليشكلا نوبة في تاريخ الحزب الثوري العربي استوجب ردا سريعاَ من القوى الاستعمارية والصهيونية تجسد في العدوان الثلاثي البريطاني – الفرنسي – الصهيوني على مصر بهدف تثبيت وتوسيع الاحتلال الصهيوني وإعادة احتلال قناة السويس.

ولكن ذلك العدوان فشل في تحقيق أهدافه نتيجة مقاومة عبد الناصر ومعه شعب مصر ودعم العربية في مقدمتهن سورية وكل أحرار العالم. وبذلك سقطت أسطورة الدول الاستعمارية مثمنة بريطانيا وفرنسا ومعها دولة الاحتلال الصهيوني التي فشلت في تحقيق أهدافها العدوانية، وخرج عبد الناصر شامخا قويا يحمل راية الشعوب العربية ويقود حركة التحرر الوطني في العالم.

لقد خرج اليوم النصر فوق الحزب العربي في العالم على خوض معركة مواجهة الاستعمار وتحقيق الاستقلال. وتتابعت الانتصارات الدوية لعبد الناصر من بناء السد العالي إلى قيادة حركة عدم الانحياز إلى جانب نهرو وتيتو ونكروما بعد أن حقق أول وحدة بين قطرين عربيين (مصر وسورية) في تاريخ العرب المعاصر ليشكلا كاشطة تلوح للكيان الصهيوني كقائمة لا بدّ منها لتحرير فلسطين

والمساعدة الكرمية العربية وبناء المستقبل العربي الواعد.

لقد انبثقت الجماهير العربية المتحدة بلقبها في الوجدان القومي وشكلت رافعة مكنت شعب العراق من التخلص من النظام الملكي الذي تحميه بريطانيا، وأعطت الثورة الجزائرية الضربة القاطلة للنكص من الاحتلال الفرنسي، وساعدت حركات التحرر العربية والأفريقية والعالمية على متابعة نضالها لنيل الحرية ودعمت ثوار اليمن على تحقيق الانتصار.

وإذا كانت مجموعة من الأقطاب والخطايا قد ارتكبت في هذه الوحدة إلا هذا لا يبرر إطلاقا قيام الانفصال الأسود الذي قضى على حلم الوحدة وانعاش الرجعية العربية المتواطئة مع القوى الاستعمارية وشكل البداية الموضوعية لهزيمة الخاسم من حزيران 1967 التي دفعت عبد الناصر إلى الاستقالة معلنا تحمله كامل المسؤولية ومُكدا عودته إلى الجماهير ليتابع النضال معها كموطن نخب، ولكن الجماهير العربية بحسها الوطني والقومي أدركت حجم المؤامرة التي تعرّضت لها الأمة ونزلت إلى الشارع تطالب أهية الرجوع عن استقالته والاستمرار في النضال وصولا إلى بحر المتوسط الاستعماري – الصهيوني والانتصار عليه، واستجاب القائد لإرادة الجماهير وبدأ حرب الاستنزاف التي شكلت البداية الموضوعية لحرب تشرين التحريرية المجيدة التي كان مقدرا لها أن تحقّق الحلم العربي بالنصر لو لم يحرف السادات وينسحب من المعركة محولا إياها من حرب تحرير إلى حرب تحريك تخدم المشروع الأميركي – الصهيوني وتجهض الحلم القومي العربي المقامو.

لقد استفاد عبد الناصر من دروس وعبر الانفصال الأسود وهزيمة حزيران وتابع النضال بعد أن أدرك أهمية الاستفادة من نبض الجماهير المؤمنة بخيار العروبة المقاومة وضرورة تكامل النضال القومي مع النضال الطبيعي لتحرير الأرض والإنسان. وواجه بين 30 مارس لثبتي هذا العقولة الضخيمة وهكذا وقف إلى جانب المقاومة الفلسطينية ودافع عنها حين سعى النظام الأزدي لنحرها. ولم يمنعه مرضه من الاستمرار في مسايه الهادفة لإنقاذها رغم نصائح الأطباء له بضرورة الراحة، وهكذا سقط شهيدا وهو يسعى لحماية المقاومة.

ما أوجنا اليوم إلى قائد عربي جديد يتخضض شخصية عبد الناصر يستوعب ظروف وتدابير المرحلة ويدير أزمة الاستفادة من الدروس والعبر التي أقرتها الأحداث الماضية ويركز الجهود لتجاوز ثغراتها وإسليباتها ويحمل على زيادة وتطوير إيجابياتها خصوصا واننا نعيش مرحلة دقيقة وصعبة يتم فيها تزوير التاريخ وحرف بوصلة النضال العربي نحواعاء وهميين جدد بشكل لا يستفيد منه إلا العدو الصهيوني وحماته الأميركيين ومسانديه والجريعن وأدواته التكفيرية. في ذكرى 14 تموز نشعر بمدى الحاجة إلى عبد الناصر جديد يحمل راية العروبة المقاومة ويتصدى للمشروع الأميركي الصهيوني–الرجعي التكفيري الذي يغزو المنطقة.

قلوبهم على حلب

..خلال يومين فقط صدرت عشرات المواقف والتصريحات المخصصة لتعبير

حكومات عربية ومنظمات دولية عن قلقها على حلب من الحصار.

ليرغمض المتحدثون حلب بل الأحياء الشرفية التي يسيطر عليها المسلحون حصارا.

.. لم ينتبه المتحدثون إلى أنّ قرب هذه الأحياء تقع بلدتا الفوعة وكفريا المحاصرتان منذ سنوات، وأن ماء الشرب مقطوع عنهما، وأنّ الدواء مفقود، وأنّ الغذاء في إمدادات رمضان كان ينضب الجيوب فقط، وأنّ المقاتلين المدافعين كانوا يسقطون أرضا مغصيا عليهم من الجوع والعطش.

.. يتجاهلون المعاسي الإنسانية المحيطة ويحصرون الإهتمام بالأحياء التي يسيطر عليها المسلحون قبل يهتمهم أمر ناسها؟

.. يعيش الناس هناك كما في منبج تحت عسف وظلم الإرهاب والقتل واحتكار المواد الغذائية والأدوية والمتاجر والبائمه والكهرباء والمحروقات، ولا يرف جفن دون الحكومات ولا تلك المنظمات.

.. في عدرا العمالية أدخل جيش الإسلام عائلات بكاملها حية إلى أفران حربية ولم تستعصم كلمة.

.. من لا يندمج مع الفوعة وكفريا منافق إذا تحدث عن حصار في سورية وعندما يحصر كلامه بأحياء يحتلها المسلحون قلبه على المسلحين وليس على الناس.

التعليق السياسي

البناء

قضية فلسطين والقمة العربية، موريتانيا- تموز 2016

مسارات متكاملة: من مئوية وعد بالفور مروراً بخطة السلام العربية

إلى مؤتمر للأمن والتعاون في الأوسط والمتوسط؟

■ **د. جورج جبور***

المحتويات: أولاً: في العنوان

ثانياً: أهمية القم العربية في معالجة قضية فلسطين.

ثالثاً: تجديد رسالة مفتوحة الى القادة العرب في قمة العام الماضي.

رابعاً: تداخلات مسائل الأوسط والمتوسط، وفشل حلّ كلّ مسألة بمفردها.

خامساً: من موقع العنقوان الفكري والمؤشرات السياسية: فلنتجّه القمة العربية واعية نحو مؤتمر للأمن والتعاون في الأوسط والمتوسط.

أولاً: في العنوان:

كلمات العنوان واضحة لتلخص البحث كله. بسبب قضية فلسطين كانت القمة العربية الأولى في انشاص عام 1946. وكان للقم العربية دورها في الحفاظ على قضية فلسطين حاضرندوليا. رغم الاختلاف المشروع في تقييم حصيلة ما انتهى اليه هذا الدور. وفي الوقت الراهن، ضمن ما تشهد بعض الدول العربية، وما تشهده العلاقات العربية – العربية، براهن البعض على موت سريري يعانى منه الثنائي: فلسطين ومعها جامعة العرب، والقمة العربية الدورية اجلى وأعلى رموزها. وما تأخر عقد القمة عن موعدها الدوري إلا لإصطاح عن غياب حيوية القمة. في المقابل، يطلق عقد القمة، رغم تأخرها، إشارة واضحة تقول إن الثنائي ما يزال على قيد الحياة. وتوقع، وأرجو ألا أكون مخطأاً، أن يكون للفلسطين حضورها الباذخ في القمة المقبلة، وربما بانكر ما كان لها من حضور في القمم القليلة السابقة.

أما المسارات المتكاملة من الماضي الى المستقبل فيكمن سرّها في إشارة الاستفهام التي بها يجتمعت النوان. هي إشارة استفهام كبيرة بحجم الماضي والحاضر والمستقبل يجتمع بها. بل في ليست إشارة استفهام. انها دعوة الى الانخراط في عمق فكري مكانه بيروت، عاصمة الفكر الفكري العربي. ولن يكون للمصنف إلا أنز التمكن في الأرض، لأننا في عهدة مؤسسة هي حارسه دولة ظهرت أرضها من الاحتلال.

لم تأسب من تنبيه مسبق يبطل بعض الانتقاد. تضمّ هذه الصفحات خيرات شخصية وتفصيل كان أحرى بها أن توضع كإومارش، أو حتى ان يستغنى عنها. فعلت ما فعلت جربا على عادة من تقدّم بهم العمر، فعندرة.

ثانياً: أهمية القمم العربية في قضية فلسطين:

لا تتطلب هذه الجزئية من البحث جهداً خاصاً، فجوهرها متفق عليه. قضية فلسطين أنتجت القمم العربية المتتالية بدءاً من انشاص. بل لعل من الممكن القول بأن فكرة قيام جامعة الدول العربية إنما أنتجتها السياسة البريطانية واقع معالجتها مسألة الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936. لتجلب جامعة الدول العربية، قبل ولادتها بعقد، في رسالة الملوك العرب إلى أنبائهم عرب فلسطين لوقف المقاومة وإيلاء بريطانيا الثقة. ثم أن بروتوكول الاسكندرية وضمتّ مملخاً خاصاً بفلسطين. وشغلت الجامعة بفلسطين منذ انبائها الأولى. وأتى عقد قمة انشاص، بتحريك سوري قام به الرئيس شكدي القوتلي، وبدعوة من الملك فاروق، وأواخر أيار 1946، فتوجّجا للارتباط الوثيق بين «العمل العربي المشترك» - حسب التعبير الفكري، بالسائد - وبين قضية فلسطين، ثم انبنا نجعل أنّ الفلسطينيين جميعاً كانوا، وما يزالون في منصفه، من دعاء زيادة جرة العمل العربي المشترك في معالجة القضية. حتى حين أصرّ الفلسطينيون على استقلالية القرار الفلسطيني، فإنهم صرحوا بهذه الاستقلالية بمواجهة دولة أو دول عربية يفتقنها، ولم يصرحوا بها لكي يخرجوا من العتامة العربية.

ولم تشغّل جامعة الدول العربية بمسألة قدر انشغالها بقضية فلسطين. كلّ

شعب الكتالم العربي وغير ذلك المشاريع من أعمال الجامعة، قد لا توازي، في حجم مدّ صفحاتها نصف عدد الصفحات التي تشغلتها قضية فلسطين. وما سبق تخمين شخصي في كل حال لاأثرز به حتى نفسي.

كيف تقم هذا الارتباط الوثيق بين الجامعة وقضية العرب الأولى؟ البعض يقول إن أهم سياسة بريطانيا عميقة هدفها إخراج أرض فلسطين من أصحابها وتسليمها الى الصهاينة بأسلوب إخراج دولي، الإنتداب عماده الأساس، والجامعة إحدى الوسائل المساعدة.

لكن نظرة أصحاب ذهنية المؤامرة، ولا سيما منهم من يرى في بريطانيا صانغة كبرى اولى لسياسة العالم، ولا تخلو هذه النظرة من صحة.

الاتذ الأصخ هو القول بأن فلسطين جزء من الوطن العربي وأنّ على الجامعة إيلاء عنايتها الأولى إلى ذلك الجزء من الوطن الأخر من غيره تعرّضا للمخاطر. وليس من الخطأ القول انه، رغم ما تعرّض له الجامعة من انتقادات، فإنّ من وداعي إرتياح الفلسطينيين، بشكل عام، أن تجمع الدول العربية على خطة لمعالجة قضيتهم. وفي التاريخ الحديث لمواسي لقضية فلسطين أن الجامعة شغلت منذ اوائل العقد التاسع من القرن الماضي، وبالتحديد من عام 1981، بوضع خطة تعرف اليوم بخطة السلام العربية التي ارتفها قمة بيروت عام 2002. لمنا 1981؛ وفي 1979 في عقد مصر و«إسرائيل» معاهدة السلام. قبيل توقيع المعاهدة بقليل قامت ثورة إيران الاسلامية. طرأ تغيير على عنوان المسألة الاولى في سياسة المنطقة. لم تعد سائل الصراع العربي – الصهيوني هي المجمع على أنها أولى. في العام التالي بدأت حرب بين العراق وإيران، وأخذت المسألة الاولى في سياسة المنطقة تتخذ عنواناً آخر. بدأت النقلة من الصراع العربي – الصهيوني الى الصراع السنّي – الشيعي. من أجل الانخراط الجاد في الصراع الجديد كان من المنطقي التفكير في إلقاء فلف الصراع القديم. قمة تونس عام 1979، الاولى بعد إخراج مصر من الجامعة، جاءت عادية «ناحجة». إلا أنّ القمة التالية في عمان، 1980، زاحت قضية فلسطين من رأس جدول الاعمال. قبل في تيرير الأزمة؛ قمة تكريس قمة فلتخطيط الاقتصادي العربي المشترك، إذ أن نستطيع إيقاف التوسعية الإسرائيلية دون اقتصاد موحد متين. ولعل أول استعمار عن بعد لما سيكون عليه الحال ظهر في مقال نشرته مجلة «المستقبل»، الاسبوعية اللبنانية المحيطة في عهده المورخ 1 / 1 / 1980، وعنوانه: «لو كنت مكان الشاذلي القليبي وأمامي مؤتمر قمة عربي». استيق قارئ ما خطه القدر، وأعلن قبل اوان الإعلان أن دولة عربية مائة أن تحضر القمة. ثم اتفقت فاس. فشلت فاس الاولى عام 1981 أما غاب عنها المعني الاولى بل هو الرئيس السوري. كان لا بد من ضربة فاس ذات باس من أجل فاس ثانية. قد يكون أن اجتياح اسرائيل في حزيران 1982 انما اتى ضمن تخطيط من أجل نجاح خطة السلام العربية في فاس الثانية. وحصل. زجّت القمة الاقتراح العربي، واستمه خطة السلام العربية. جاءت الخطة في حلّة من زمانة بتعديل سوري فمنا للمواقفة.

الأآن الخطة لكل لم تجتث بل لها حياة نشطة.

بعد عشرين عاما من فاس الثانية أعيد بحث خطة السلام العربية في قمة بيروت عام 2002. كان للرئيس إميل لحود، بشجاعة قيادية مثيرة للإعجاب، اثر هامّ على النص. أدخل عدة تعديلات مهمة.

كيف أصبح الخطة؟ وضمن أية طرف؟ كيف تولد الأفكار السياسية؟ لعلّ من المفيد أن أضع أمامكم ما أعلمه، وليس هو بالضرورة القول القاطع. جاءت الخطة السعودية لها في خصم الشؤلات عن دور النظر الف الاسلامي في أحداث 11 / 9 / 2001 الجرمية. زجّت الأحداث الجرمية العربية في خصم صراع الحضارات. ومن ضمن مغالبة الخصمّ اهتمت جامعة الدول العربية، ومن المرجح لأول مرة في تاريخها، بالمفكرين العرب. دعام عمرو موسى الى مؤتمر عقد في القاهرة، ومولته الكويت كما أرّجح، لأنّ اعتراض «حداني» كويتي نافذ على ذكر حلف الفضول حال دون ذكر ذلك الحلف المبارك نوبيا في بيان المؤتمر الختامي. سمعت رواية اعتراض «حداني» من السيد عمرو موسى، الحيّ البرزق، لصحافي بعث خطة السلام العربية. عن ظروف بعثها حدثنا توماس فريدمان، المتحدث الاميركي الشهير، عن لقاء له مع الملك عبد الله، رحمه الله، توافق فيه الصحافي والملك على فائدة بعد الخطة. حرصت رواية فريدمان على التأكيد ان ايا من الشخصيين لم يكن لتملأ لأخرها. زجّت الأحداث العربية وصل اليها مستقلا. إلا أنّ لي روايتي المجهولة عن الولاة، ويهمني وضعها في التداول، وهذه هي:

بدءو من الوزير الدكتور خالد العنقري، وزير التعليم العالي، السعودي، القيت، بحضور عدد من الوفّر من غيرهم، وبحنا عنوانه: «مشروع العمل قيد بشأن السلم العادل في المنطقة». كان ذلك ضمن اطار «المؤتمر العالمي عن الحد من الحرمين الشريفين وإنجازاته» (الرياض، 11 - 14 / 11 / 2001). تالفت الخاتم من عدة أجزاء حمل آخرها العنوان التالي: «هل يمكن التخطيط في مشروع في ظروف ما بعد 11 / 9 / 2001؟» اختتم ذلك الجزء من البحث، ومعه البحث، بالفقرة التالية:

إذا ذكرّ العرب الإعلان بالالتزام بذلك المشروع، اقتسى حياة جديدة يوجب على اميركا – ومعها بقية الأطراف المهمة – أخذها بجديّة. فكرة الإحياء ليست هدية تقدّم الى خادم الحرمين الشريفين بمناسبة الذكرى العشرين لتوليه الحكم. انها فكرة سياسية – عملية من الدرجة الاولى. إنّ أخذتها اميركا بجديّة فذلك هو الهدف الاساسي. وأنّ لم تأخذها بجديّة فإنّ وحدة الصف العربي انما تؤذي الى شذ أن الانتفاضة الفلسطينية التي استطاعت شقيقتها اللبنانية فرض تنفيذ قرارات لمجلس الأمن عجز مجلس الأمن عن تنفيذها.»

في المتداول المعروف عن جلسة فريدمان مع الملك عبدالله أنّ الملك قال للصحافي: «هل نظرت في درج مكتبي؟ فيه ورقة تقول ما انت تقترحه عليّ». من، الجائر الظنّ أن ما احتوى عليه درج الملك كان نصّ بحفي الذي كان قد ألقي قبل ايام. وللعلم، فإنّ السيد لسلي ماك لولخن، الإعلامي البريطاني الشهير، قابلني بعد إلقاء البحث وأجرى معي حديثاً عنه لذي بي سي»، وطيلة مدة المؤتمر كان لا ينفك يتحدث عن أهمية ما قلت.

بعد أقل من اسبوع تعقد القمة العربية في نواكشوط، عاصمة موريتانيا. من المتداول ان قضية فلسطين ستكون في الطليعة بنذا أول او في موقع متقدّم. سوف تتمثل القضية بخطة السلام العربية، كما تقول وسائل الاعلام. أرى ان تضع القمة على جدول اعمالها بنذا فلسطينيا آخر، بل أول، هو أصل القضية. انه وعد بلفور. مناسبة وضعه اقتراب مئويةته. لم يكن الودع – التصريح – امرا عابراً في تاريخ الفكر العالمي، وليس الإهتمام بالمناسبات التاريخية الكبرى جديدا على الجامعة. ذات يوم بحثت الجامعة في موضوع خصمساتة عام على اكتشاف اميركا، وخصص مبلغا من المال اهتماما منها بالمناسبة. اقتبس بعد قليل ما قلته عن وعد بلفور هنا في بيروت، مقدّما لندوة أدرتها بمناسبة اليوم العالمي لحقوق الإنسان في 10 / 12 / 2015:

في خريف عام 1917 ناقش مجلس الوزراء البريطاني باستفاضة مسألة ما أصبح وعد بلفور. إن المجلس وافق اتباع سياسة معينة بأنياف شعب. لكن اتباع سياسة واحدة يتوزعون في عدة دول ليسوا شعبيا. لكل منهم جنسية دولة لها ولأوهم. لا يمكن إعطاء صفة شعب لاتباع سياسة ينتشر المؤمنون بها في كافة انحاء العالم. اتى وعد بلفور، رغم انتقاد مؤنثاغو ومذكراته الخلات، فأنتهى صلح وستغاليا وما تالده من تأسيس دولة تعددية المواطنة. قامت دولة يهودية.

وكان من نتاجها، في تقالعه عبر الزمن، مع ظروف معدقة في نفوس الناس وفي سياسات الدول، قيام ما يعرف اليوم بالدولة الاسلامية.»

ثالثاً: تجديد توجيه رسالة مفتوحة ذهبت الى القادة العرب في قمة شرم الشيخ:

في 19 / 3 / 2015 نشرت جريدة «البناء» اللبنانية رسالة مفتوحة وجهتها الى القادة العرب في قمتهم بشرم الشيخ بمصر، وجهت الرسالة نفسها الى القمة بعناية بعض أجهزة الجامعة في دمشق، ولا أمك تأكيد وصولها. قلت في الرسالة ان مئوية الودع مناسبة سوف ينشأها شعب العالم. هي تخصصا كثيرا مما تخصّ غيرنا. فلنشغّل بها منذ الآن. ليس في علمي انه جرى المنطق بكلمتي «وعد بلفور» في قمة العام الماضي. لا دري إذا كان أيّ من القادة العرب يزعم النطق بتبنيك الخلمتين هذا العام. في كل حال، اعيد توجيه الرسالة – المذكرة هذا العام وينصها دون أي تعديل. وهذه هي:

رسالة مفتوحة الى القادة العرب في قمة شرم الشيخ مصر، آذار 2015. أضع على جدول اعمالكم بنذا عنوانه:

«الإهتمام بمئوية وعد بلفور.»

السادة أعضاء القمة العربية:

أتحكيكم، بالاحترام المناسب، من سورية الجريحة المتعافية، وأضع على جدول اعمالكم، بقدر ما أمك من قدرة إقتناع، بنذا يفرض عليكم تاريخ جامعة الدول العربية، ولا سيما منه تاريخ مؤتمرات القمة بدءاً من اولها في انشاص عام 1946.

أشواك البند: «الإهتمام بمئوية وعد بلفور.»

ونشغّلنا بمحاولة إقناع القمم وضع هذا البند على جدول اعمالها قديم يعود الى عام 2007. قد يكون معروفاً بديكم، أو لدى بعضكم، ان لدى الامين العام الحالي للجامعة، لأنّ الامين العام السابق للجامعة، السيد عمرو موسى، قدّم للبطية الثانية من كتابي: وعد بلفور (منطق، الطبيعة الثانية، تشرين الاول أكتوبر 2007) ، ولانّه، تمخذاً للتقديم وتجاوبا مع روح الكتاب، بدأ منذ ذلك التاريخ تقليداً جديدا في عمل الجامعة، هو إصدارها بياناً سنوياً عن الودع في الثائي من شهر الحادي عشر من كل عام.

بل بعد بضعلمان عن مئوية وعد بلفور إلا أقل من سنوات ثلاث. والمناسبة تاريخية ثقافية اعلامية سياسية بامتياز. سوف ينشأها شعب العالم. هي تخصنا قبل غيرنا. فما أحران أن تشغّلها بها ويهيئ لها منذ الآن.

لن أقل عليكم بتعداد الكثير مما يمكن القيام به في مجال تبيان الظلم الذي أوقع بالشعب الفلسطيني نتيجة ذلك الودع. اكتفي هنا بذكر نقاط خمس، يحسن أن تكون في جوهر الخطاب بالملئوية، ثلاث منها تاريخي، واثنان منها للعلم منذ هذه اللحظة.

أولاً: «إسرائيل»: ليست روديسيا القديمة يتخلل هذا الانطباع من رسالة خطها هرتزل على عام 1902 التي اروس، مشوية روديسيا البائدة وهي في نصف عالمها دولة ييمجابوي. يقول هرتزل في رسالته: لو كانت آسيا الصغرى في نطاق اهتمامها يا روديس، لكنت نفذت المشروع الصهيوني الذي ادعوك إلى تبنيه على نحو ما نفقت، به مشروعك في افريقيا. بعد عقد هرتزل، المشروعان شقيقان بل تومال. لو اهتمّ رودس بأسيا الصغرى ونفد، لكان من الممكن لاسم فلسطين أن يصبح روديسيا لا «إسرائيل.»

ثانياً: الرئيس ويلسون والد مشارك في الودع. هو أيضاً صاحب مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، وهو ايضا الناقم على الاتفاقات السرية ومنها اتفاقية سايبك. بيكو المهيئة لودع بلفور. وهو مؤفد بعثة كينغ – كرين إلى بلاد الشام لإستطلاع رأي السكان في ام مستقبلهم. لا يمكن التوفيق بين اجازة ويلسون مسؤولة الودع وبين ثوابت سياسته الممثلة. اشتهار هذا التناقض مفيد في ترسيخ ايراد اعق لمحركات السياسة الاسيائية، والاسيما في المنطقة العربية. ولنلاحظ أنّ الثقافة الصهيونية العالمة ما تزال تعبر عن الإعجاب بويلسون في تبنيه مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، وهو موقف صائب، لكنها تهمل عادة ما هو موقف صائب أيضاً، ومؤاذه ان كان هو نفسه اساسيا في حرمان الفلسطيني من حقه في تقرير مصيره بنفسه. لم يصدر وعد بلفور إلا بعد اجازة ويلسون له. لانحياز الحق أن قلنا ان الرئيس الأميركي والد مشارك في وعد بلفور.

ثالثاً: تصريح بلفور العنصري عام 1919 عن سمو الصهيونية التي يبرز لها ممارسة العنصرية الفاتتة الى الفلسطينيين. اتى هذا التصريح بعد إصدار الودع عامين، ومؤاذه ان الصهيونية مهما كانت، مصيبة أو مخففة، انما هي قيمة سايمة من قيم الحضارة الغربية، وينبغي الأخذ بها دون الالتفات إلى رغبات سبعيناته ألف من سكان فلسطين. ان لهذا التصريح دوره في إقناع ضعية الباقية بالمواقفة التي ما أصبح ملك الإنتداب على فلسطين في عام 1922.

تلك نقاط ثلاث تاريخية ثقافية اعلامية سياسية حسنة. لا يكون اشتهارنا العالمي لها في جوهر عملنا المبرمج إذ نستعدّ لملئوية الودع. ولا ريب ان هذا الاشتهار مفيد معنويا في تحذية وعي دولي يؤذي بالنتيجة إلى ابلغ الفلسطينيين بعض حقوقهم. ولننتكر، بنجسة القانون الدولي، كان الاسترقاق شرعيا وكذلك كان الاستعمار. بطلان. تبدّلت الأزمان وتبدّلت عهات الاحكام.

به من هذه اللحظة.

القطعة الاولى: يجب تشجيع فكرة المطالبة بالاعتزاز عن الودع. هي فكرة جليلة ينهض بشرّف القيام بها حشد من المتطوعين على امتداد العالم. أحييهم. النقطة الثانية: يحسن ذلك الهيات الثقافية العربية، وهي طليعتها اتحاد الجامعات العربية، لتنفيذ اقتراح وافقت عليه، عام 1989. ومن العربية الافرريقية، من خلال التعاون بين منطقتيها، بإنشاء مؤسسة لدراسات الاستعمار الاستيطاني القارن في العالم كانت لي عن عملية التنفيذ رسالة في 15 كانون الثاني / يناير 2007 إلى أمين عام الجامعة، وكان جواب عنها في 8 آذار / مارس 2007. ولا ريب ان الرسالة وجوابها محفوظان في ملفات الجامعة. قدّم الاقتراح اليكم عبر الحكومة السورية، عام 1971. وبالتفاصيل الدقيقة بتضمّنها كتابي: «نحو عمر عربي لسياسة» (دمشق، الطبعة الثالثة، 2010).

السادة أعضاء القمة العربية..

كلمة عام بسيطة: عنوان البند الذي اضعه على جدول اعمالكم: «الإهتمام بمئوية وعد بلفور». بل انتم تضعونه. بل يضعه على جدول اعمالكم ضمير الإنسانية فيكم، وتضعه أيضا المادة الاولى في العهدين الملزمين من شرعة حقوق الانسان. بكل احترام.

رابعاً: تداخلات مسائل الأوسط والمتوسط

وتعذر حل كل مسألة منها بمفردها

العمل الواضح لهذا التداخل هو الوضع الحالي في سورية. لا يمكن العودة بسورية الى الأمن والاستقرار إلا ذم يكن فتح حل يرضي أطرافا عديدة حول مسألة امدادات النفط والغاز من المصادر التي المستهلكتن. كذلك فمن الواضح لكثيرين أنّ الموقف السوري من النزاع التوسعية «الإسرائيلية»، كان له دوره في إعصال السوريين إلى ما وصلوا اليه. أما المسائل التي يغيرها طموح بعض مواطني سورية من الأكرار إلى إقامة نوع من التشكل الفدرالي فخطيرة لا يمكن إلا ان تكون على صلة مباشرة مع مسائل متعلقة في دولتين من دول الجوار السوري.

الدرس المستخلص من الوضع السوري هو أنّ توافق القوتين الأعظم لا ياتي بنتيجة كاملة ان لم يدعته توافق بين الدول والقوى الإقليمية. صحیح ان فمة من المجاهيل في التوافق الروسي – الاميركي ما لا يمكننا من الوصول إلى الجزم، إلا أنّ استمرار الوضع السيئ على الأرض، ومعه استمرار المحادثات شبه اليومية بين وزيرى الخارجية الروسي والأميركي، يوجي بيان القوتين الأعظم، في أحسن الأحوال، لا تستطيعان، وفي أسوأها، لا توتيان.

«البناء» في بيروت، 1983

ويمكن القول انه، الى جانب الوضع السوري، ثمة مسائل عديدة في منطقة الأوسط والمتوسط يتعذر حل كل واحدة منها بمفردها. اليمن مثال صارخ. كذلك ليبيا. ولا حصر للمسائل الأخرى.

أما المسألة الأة، قضية فلسطين، فهي متداخلة في كثير من المسائل الأخرى. ولعل من الأומר الدالة على أهمية القضية الفلسطينية في الوجدان العام، عروبا وإسلاميا، أن قطبي الصراع السنّي – الشيعي، واقتد السعودية وإيران، يتنافسان في إظهار الارتباط المبيئي بمناهضة التوسعية الإسرائيلية، بل ومناهضة أصل هذه التوسعية، أيّ الإيدولوجية الصهيونية.

ومهما كان مؤفنا من خطة السلام العربية، إلا أنّ في الخطة مؤقفاً أساسياً لا ينبغي تجاهله، وهو مؤاذه ان تطبيع كاملا دون انسحاب كامل، أيّ دون تغيير حقيقي في التفكير السياسي الصهيوني.

تشكو مسائل الأوسط والمتوسط من أنّ المصالحات التي تعقد لحل اية واحدة منها تبدو تافهة إزاء الخطر العام الجائئ المهذّب. تتصالح، مثلاً، تركيا و«إسرائيل». تعود بينهما العلاقات لي طبيعتها بعد حادثة «مرمرة»، إلا أنّ هذه المصالحة لا تنفّذ «إسرائيل» من تطورها الطبيعي المتجه الى مزيد من الإبتزائية. اما بالنسبة الى تركيا فإنّ شكلتها الكبرى لم تكن في تحطلي عواقب حادثة «مرمرة». الخطر المقيم في تركيا يكمن في داخلها.

وكذلك تبك الرئيس أوباما للتجوين التي خطر في داخل مجتمعاتهم. محدثراً إياهم من إلقاء عبء عاشكلهم على توجه إيران الشيعي.

مسائل الأوسط والمتوسط ليست فقط علاقات بين دول. انها أيضاً علاقات بين مجتمعات وتوجهات. وهي أيضاً علاقات ضمن دول ومجتمعات وتوجهات. ولن نستطيع وضع قائمة كاملة بها، إلا أنّ محاولة وضع قائمة أمر مستحب. وتعوذي بالذاترة في مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا خلال السبعينات. كم كان كبيرا الجهد الذي بذل حتى استقر الأمر على جدول اعمال.

ويطول حديث التحضير للمؤتمر، وقد أعددت بعض ما يجب اعداده. ولنلاحظ أنّ الدخول في التفاصيل على هذه الفترة مفيد، الاانه قد يكون معوقا. اما ما هو مفيد ومنتحّ حقا في هذه اللحظة، فقائم القمة العربية بخطوة أولى تتمثل في تاييد المقترح الفرنسي — الأوروبي المتداول بشأن فلسطين، مع ملاحظة تعميق تاييد بلنفتح المقترح على أرحب. وبالطبع، لا بدّ لمثل المؤتمر الذي أرى اننا نسير باتجاهها، إلا ان يمتّح بقدرة التحريك الفاعلة حقا، أيّ القدرة الروسية – الأميركية، وعليها، في كل حال، ان ننذكر دائما ارتباط المسألة – الأصل، أيّ قضية فلسطين، بالمسألة الشاغلة اليوم، وهي الإرهاب. إمدار العدالة في مسألة فلسطين كان له أثره الكبير في الوصول إلى الهاوية التي يجد العالم نفسه فيها الآن.

خامساً: من موقع العنقوان الفكري والمؤشرات

السياسية: فلنتجّه واعين نحو مؤتمر للأمن والتعاون في الأوسط والمتوسط:

كثيراً ما يفتك الفكر على عتبة السياسة، تحركه فيفسر. إلا أنّ للفكر عقوانه. هو بنفسه سلطة تحرك السياسة وقد تغير مساراتها، وللظروف دورها، وكلّ حالة من اشناك الفكر للسياسة تبقى حادثة فريدة قد تستعصي على التعميم.

يلتقط الفكر حادثة قد تمرّ عابرة، يبني عليها. تتولد عمارة يمكن أن تقرض نفسها على ما يحيط بها. كما يمكن للمعمارة ان تتهاوى لأنها انما قامت على حادثة كان لا ينبغي إلا ان تحسب عابرة. يمكن للمادة ان تضلل الناس. قرأت في أحداث متتالية منذ بعض الوقت مؤشرات تفصح عن اتجاه الى عمل دولي قمة شبه توافق على ألياته. هدف العمل، كما ينبغي ان يكون الهدف، خلق أجراء أمن وتعاون في بلاد الشرق الأوسط. قرأت ذلك في التوافق الغامض بين روسيا وأميركا في الشأن السوري. قرأته في زيارات نتجناهو المتكررة إلى موسكو. قرأته في محاولة تركيا مغازلة موسكو. قرأته في قبول مرزا دلتوسيع مكان إيران في شؤون المنطقة. قرأته في محاولات اوروبية غريبة لكبح جماح التوسعية الإسرائيلية. قرأته، قبل كل شيء وفي صلب كل شيء، في التوجهات المعلنة لمحاربة الإرهاب. رغم عدم الاتفاق على تعريف الإرهاب.

كان كل ذلك إفجاب قلبية خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي في يوم الكتابة هذا، الجمعة 14 حزيران 2016. أتى الخروج لنبال من قوة ما قرأت. فليكن. اتابع. وأعلم أنّ علينا توقع مفاجأة، مجهولة الأبعاد، تاتيها بها انتخابات الرئاسة الأمريكية. وأعلم أنّ كل حدث كبير في المنطقة او في العالم يمكن إخضاعه لتفسيرين متناقضين أو أكثر. تفسير يحشد لتوجه الى عمل متوافق عليه، وتفسير مناقض.

النظام السياسي لفكرة ذات عقوان. بدأت تنمو في الوجدان منذ زمن. إلا اننتي لم أفصح عنها علناً إلا منذ نشر والام الإعدام بل مذكرة النابلماسين الأميركيين المطالبة بمزيد من الانخراط الحربي الأميركي في سورية، والتوليم الأساس لفكرة هو أنّ اعتقاد إجماع اقليمي ودولي على فائدة النظر الى المستقبل على حساب الإقانة في أسر الماضي أمر يسير اليها ببطء كل الفاعلين في الأوسط والمتوسط. والترجمة العملية لهذا النظام السياسي تتمثل في الاتجاه الواعي نحو عقد مؤتمر للأمن والتعاون تشارك فيه كل الدول والقوى الفاعلة في بلدان الأوسط والمتوسط.

الصعوبات لا حصر لها. إلا أنّ اغتلاق الإفق امام أيّ أسلوب آخر كفيل بتدليل الصعوبات. فلنتجّه واعين الى مؤتمر للأمن والتعاون...

ولأتمخ بما نحن فيه اليوم، وتحت عنوان هذا البحث: «قضية فلسطين والقمة العربية»، ما أعلم:

تطلب القمة من احد أجهزة الأمم المتحدة، والأرجح من الجمعية العامة، القيام بإجراء محدد، في يوم مئوية وعد بلفور. فاقدم الإجراء بعد جلسات استعدابية تنتج تقييما مالمفاعيل الودع الذي تقوم عليه المنظمة منذ أنشي: في أعقاب الحرب العالمية الاولى. مثل هذا التقييم، بصمّ، لا ريب في مصلحة إظهار ما تعرّض له الشعب الفلسطيني من ظلم. يؤيد المنطق السليم هذا التطلب العربي. في التوقع الغالب ان الطلب سوف يحظى بالموافقة. قد تتغلب على المنطق السليم ضغوط ظاهرة تحذ من فائدة عملية التقييم المرتجاة. أما الحديث في هذا الأمر سابق لأوانه. لنعد الى القمة.

بالتوازي مع المطالبة بالإهتمام العالمي بالمئوية، تشكّر القمة العربية خطة السلام العربية. أمّ ما فيها انسحاب كامل كما تنص على ذلك القرارات الدولية. لا يقبل القانون الدولي الاستيلاء على أراضي الغير بالقوة، كما في ديباجة القرار 242. ولا علاقات عادية بين الانسحاب الدلمي.

العودة الى التاريخ تمهيد للسبيل إلى ضغط دولي أكبر على «إسرائيل» يقنعها

بقبول خطة السلام العربية انطلاقاً من ضرورة البدء بتطبيق أول بنودها وهو الانسحاب. وكما مهدت الرواية الصهيونية لتاريخ فلسطين، وكما مهدت الرواية الصهيونية لوقف الشواء «الهولوكوست)، كما مهدت هاتان الروايتان الطريق امام قيام «إسرائيل»، كذلك يعبئنا إيمان النظر الى وعد بلفور في مهمة السعي الى ابلغ الشعب الفلسطيني حقوقه. وإنّ تتداخل قضية فلسطين، ومحيطها هو الصراع العربي – الإسرائيلي، في تتداخل مع المسائل الأخرى الكثيرة العالقة في الأوسط والمتوسط، فمن المحتمل ان يتولد اقتناع بأن الأطار المناسب للحل هو عقد مؤتمر للأمن والتعاون. المسارات متكاملة، وبإمكان القمة العربية ان تعطي إشارة الانطلاق.

قد يقول قائل: إنّ مخاطبة القمة العربية في الشؤون الكبرى انما هو قمة الساذجة الفكرية. بل وقد سمعت شخصيا من امين عام مساعد للجامعة أنّ اميركا، وعدد سنوات طول، ترسل الى الدول العربية رايتها في كيف ينبغي ان يكون التعامل مع كل بند يتضمن جدول اعمال القمم العربية. لكل ما يرى ويقول. أما اتنا فلاواد أنّ أفقد الثقة بالجامعة وبالقيادة العرب، رغم عدم اتفافي مع الكثير مما تمّ ويتمّ.

وما قلت في بحثي في الرياض أواخر عام 2001: إذا لم ينجح الإجماع العربي المنفقد على ما هو حق بالقانون الدولي، اذا لم ينجح في إيجاب «إسرائيل» على التعامل بجديّة مع الخطة العربية، فسيكون لهذا الإجماع أثره في بلورة جديدة للقرارات العربية، بلورة قوامها التعاضد المتبادل بين الدول العربية وقوى المقاومة الشرعية للأحتلال.

وليس في كل ما سبق ما لا يؤيد الناظم الأساس لهذا البحث: علينا الاتجاه واعين الى مؤتمر للأمن والتعاون، واول الاتجاه بلورة وثيقة سياسية له، يصحّ اعتباره هذا البحث تمهيدا لها.

* رئيس الجمعية السورية للعلوم السياسية (قيد التأسيس)، ورئيس الرابطة السورية للأمم المتحدة، وعضو مؤسس في الجمعية العربية للعلوم السياسية، ورئيس اللجنة التحضيرية الاولى لها عام 1977-1983، وسابقاً: مستشار رئاسي سوري،